لا شَيء...لا شَيء

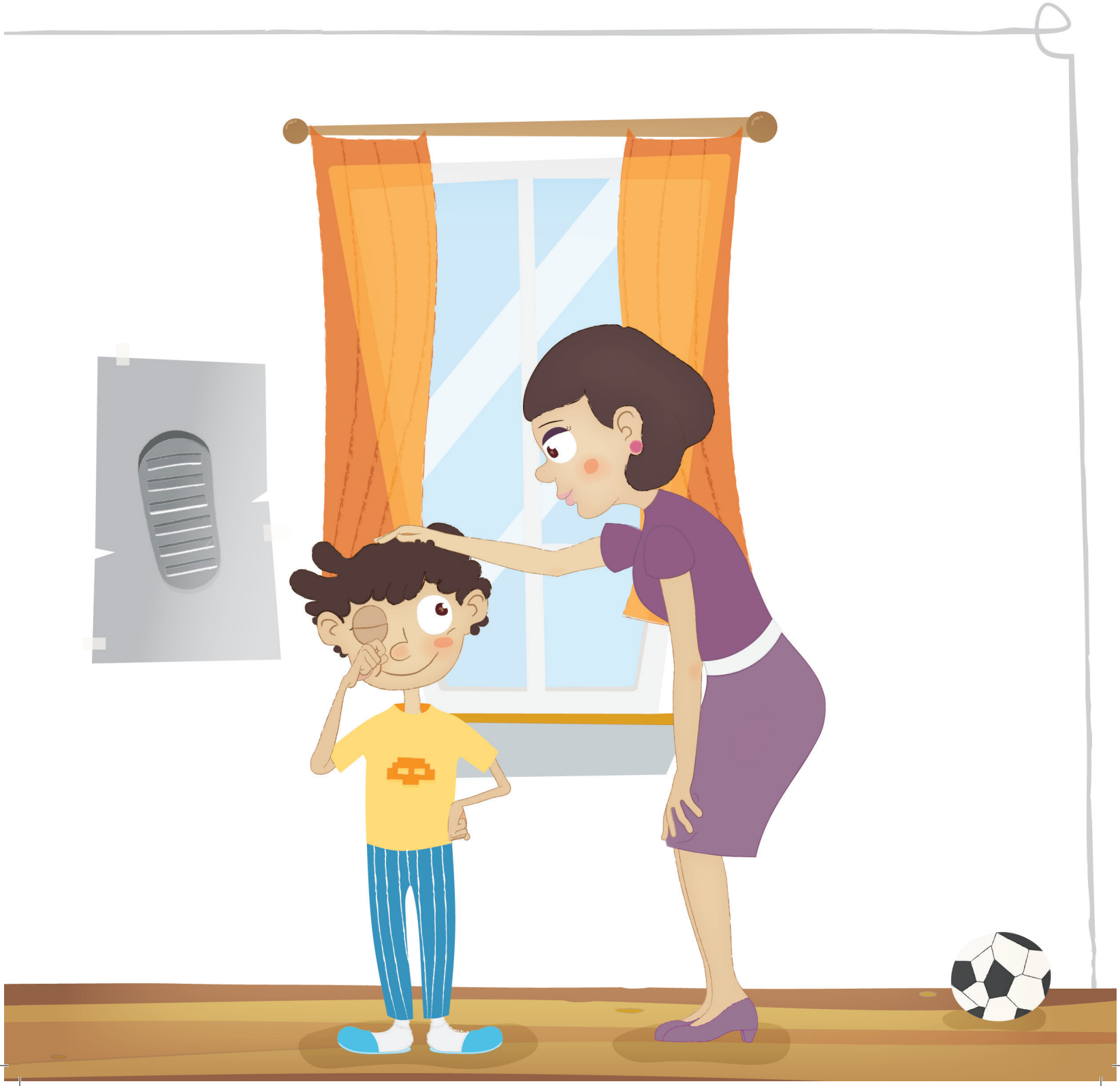

كلَّ يوم، يَستَيقظُ سَعيدٌ على دَغْدَغَةِ أشِعَّةِ الشَّمسِ...يَقولُ لأُمِّهِ: «صَباحُ الخَيرِ أَيَّتها الشَّمس».

تُجيبُه أمُّه وَهيَ تُقَبِّلُه عَلَى خَدَّه: «صَبَاحُ الخَيرِ يا صَغيرِيَ المُغامِر. هيَّا إِلَى العَمَلِ!»

قَبلَ أنْ يَلبَسَ سَعيدٌ، يَجلِسُ بَعضَ الوَقتِ إِلَى الحَاسُوبِ، بَينَما تُخرِّبُ أُختُهُ ثُرَيَّا ما رَكَّبَ مِن مَبَانٍ خَيَالِيَّةٍ وَمَركَبَاتٍ فَضَائيَّةٍ وَرِجَالٍ آليِّين في اللَّيلَةِ المَاضِيةِ.

في طريقهم إلى المَدرَسَةِ، يتخيل سَعيدٌ ووَالده مُغامَراتٍ ممتعةً. بِالأَمسِ، تَخَيَّلا طَريقَ المَدْرَسةِ نَهْرًا يَعْبُرُ الأدْغالَ. اليَومَ، انطَلَقا إِلَى كَوكَبِ المَرِّيخِ.

«مِنْ قَائِدِ أَلْفَا إلى مُهَنْدِسِ الوَحدَةِ الأَرضِيَّةِ. بَدَأنَا الاقتِرَابَ مِن الكَوكَبِ الأَحْمَرِ، هَلْ تَسْمَعُنِي؟» يقولُ والِدُه مُقَلِّدًا صَوتَ الرَّجُلِ الآليِّ.

«مِنَ المُهَنْدِسِ إِلَى أَلْفَا. نَعَم أَرَاهُ، وَقَدِ استَعَدَّ سُكَّانُهُ لاستِقْبالِنا».

«سُكَّانُه؟ لَمْ أكُنْ أعْلَمُ أَنَّنَا سَنُقابِلُ مَخْلوقاتٍ فَضائيَّةً!» يقولُ والِدُه بِاستِغْرابٍ.

«لا تَقلَقْ! إنَّهُم كائِناتٌ لَطيفَةٌ، وَلَونُها أَحْمَرُ أَيضًا»، يُجيبُ سَعيدٌ مُشاغِبًا.

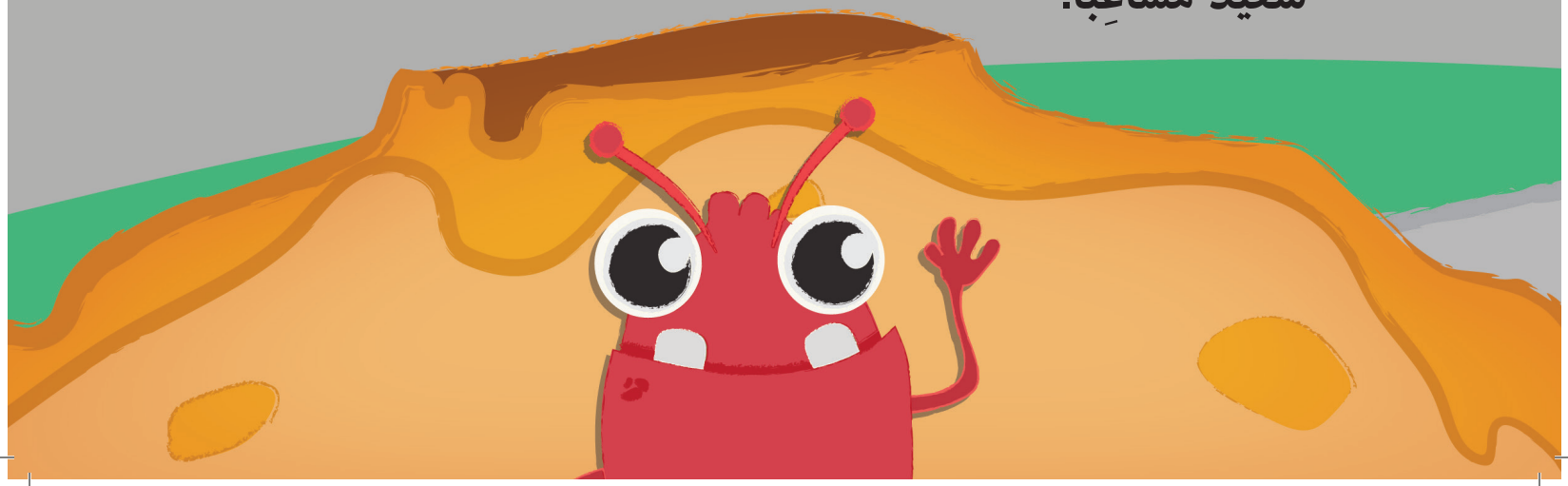

عِندَ السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ ظُهْرًا، يَرِنُّ جَرَسُ المَدْرَسَةِ، لِيُهْرَعَ الأَطفَالُ مُتَحَمِّسين، إِلَّا سَعيدٌ، الَّذي مَشَى بِخُطواتٍ بَطيئَةٍ. قالَ وَالِدُهُ: «مَرحَبًا يَا بَشمُهَندِس. كَيفَ كَانَ يَومُكَ؟»

لمْ يَرفَعْ سَعيدٌ نَظَرَه عَنِ الأَرْضِ، وَأَجَابَ بِصَوتٍ خَافِتٍ: «جَيِّد».

عِندَمَا قَالَ الوالِدُ: «مُستَعِدٌّ لاستِكْمالِ رِحْلَتِنا؟»، ظَلَّ سعيدٌ صامِتًا.

في المَنزِلِ، جَلسَ سَعيدٌ إِلى مَائدةِ الطَّعَامِ. كَانَت أُمُّه قَدْ أَعدَّتْ لَهُم طَعامَهُمَ المُفضَّل: «المجدَّرة مَع الخِيارِ بِاللَّبَن». لَمْ يَأكلْ سعيدٌ، وذَهَبَ إلى غُرفَتِه.

عِندمَا خَرجَ سَعيدٌ إلى غُرفةِ الجُلوسِ فِي المَساءِ، كانَ والِدُه يَنظُرُ إِلَى هاتِفِه المَحْمولِ كالعَادةِ. سَألَ الوالِد: «ماذا حَدَثَ في المَدْرسَةِ اليَوم؟»

«لا شَيْءَ...» قالَها سَعيدٌ بِصَوتٍ مُحبَط.

قالَتْ أمُّه: «هلْ تَشعُرُ بألَمٍ ما؟»

كَرَّرَ سعيدٌ قائلًا: «لا شَيْءَ... لا شَيْء»، وهوَ يَنظُرُ إلى والِدِه الَّذي ما زَالَ عَلى هَاتِفِه المَحمُول.

وَضَعَتْ والدَتُه رَاحةَ يَدِها عَلى جَبينِه لتَجُسَّ حَرارَتَه، فَقَالَ لَهَا سَعيدٌ: «أُرِيدُ أَنْ أَبقَى وَحدِي».

أشرَقَتْ شَمْسُ نَهارٍ جَديدٍ، ولَمْ تُشرِقِ ابتِسامَةُ سعيدٍ. أعَدَّ لَه أَبوه فَطورَه، ومَشَيَا مَعًا إلى المَدْرَسة. «مِنْ قائدِ ألْفَا إلى المُهَنْدِسِ. كَيفَ حالُ الأصْدِقاءِ فِي المَرِّيخِ؟» قالَ والِدُه.

«لا أودُّ الذَّهابَ إلى المَرِّيخِ اليَوم» قالَ سعيدٌ.

«حَسَنًا، أيُمكِنُنا الغَوصُ إلى قاعِ المُحيطِ؟»

«ولا إِلى قَاعِ المُحيطِ». ولم يَقُلْ شَيئًا آخَرَ طَوالَ الطَّريقِ.

في المَدْرَسَةِ، لمْ يَلعَبْ سَعيدٌ مَعَ أصْدِقائه، ولَمْ يتحدَّثْ إِلَى أَحَدٍ.
وَعندَمَا سَأَلَتْه المُعلِّمةُ: «ماذَا بِكَ؟» أجابَها قائلًا: «لا شَيْءَ...لا شَيْء».

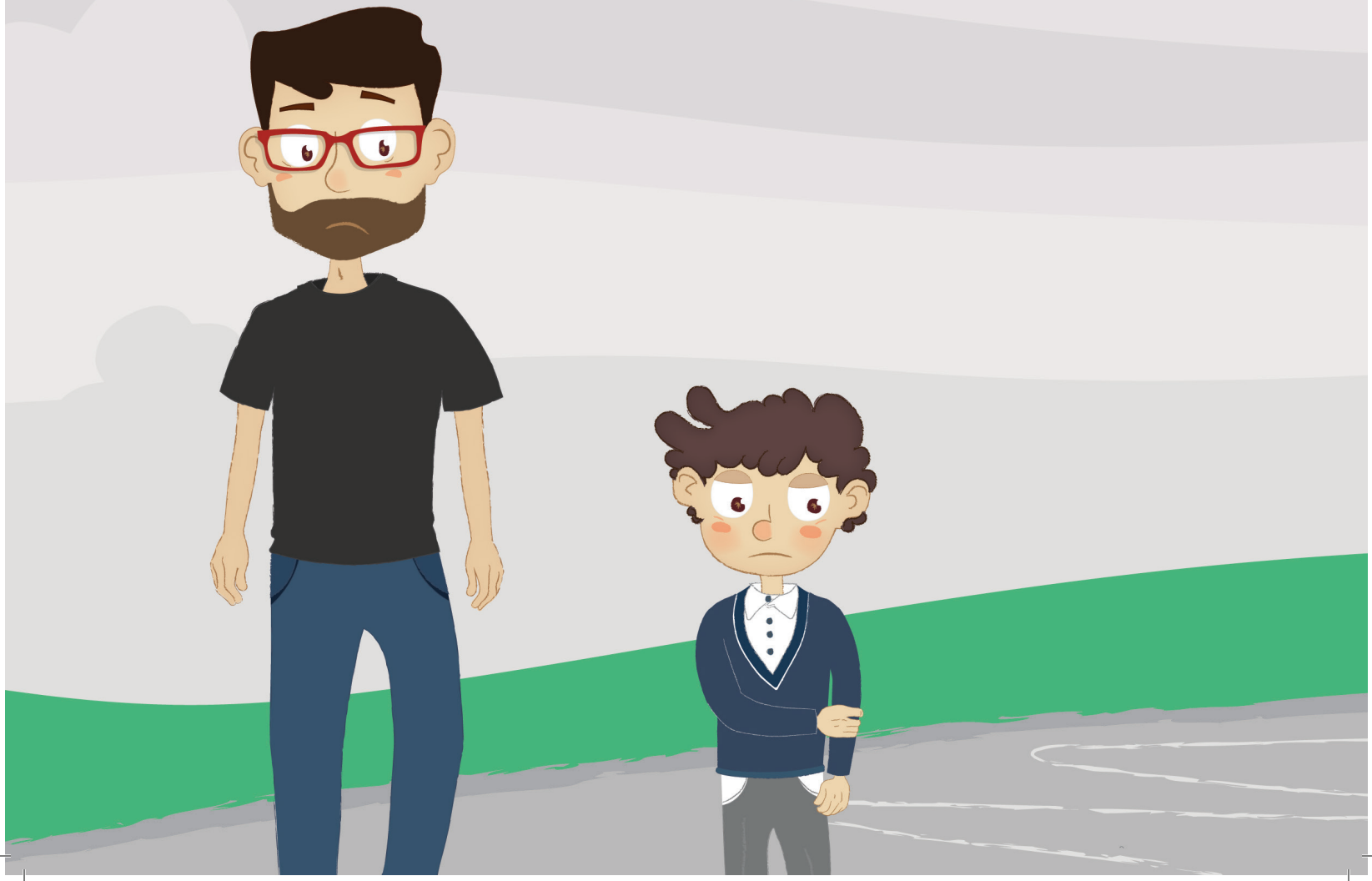

عندما رَنَّ جَرَسُ انتِهاء الدَّوامِ، خَرَجَ سعيدٌ عَابسًا أَكثَرَ مِمَّا كَانَ فِي الصَّباحِ، وَأَكثَرَ مِن يَومِ أَمس!

اقترَحَ أبوه: «فَلْنَخبِزْ كَعكَةَ البرتقال التي تُحِبُّها يا سَعيد، ولنُحضِّرْ بعْضَ الشوكولا السَّاخِنة».

«لا أريدُ كَعْكَةً، ولا شوكولا ساخِنةً». قالَها سَعيدٌ وتَوَجَّهَ إِلى غُرْفَتِه.

لَحِقَتْ بِه ثُرَيَّا. وما إنْ دَخَلَتِ الغُرفةَ حتَّى كَانَ سَعيدٌ قَد أغْلَقَ البابَ.

جلسا على الأرض، «مَا العَمَلُ يا ثُرَيَّا؟»

قالَها ودَفَعَ إِلَيها بِوَرَقةٍ.

كَان سَعيدٌ يَشعُرُ بِضِيقٍ شَديدٍ؛ كَأنَّ جُدْرانَ الغُرفةِ تُطبِقُ عليه،
أو كأنَّه في دَوَّامةٍ بَحرِيَّةٍ.

«ماذا سَأقولُ لأصْدِقائي ولِلْمُعَلِّمين؟ ما الحَلُّ يا ثُرَيَّا؟ أنَا في مُشكِلةٍ. كَيفَ أُخبِرُ أبي؟ كيف أُخبِرُ أمِّي؟»

حَدَّقَتْ ثُرَيَّا في الوَرَقةِ ولَمْ تَفهَمْ شَيئًا؛ فهي ما زَالتْ صَغيرةً على القِراءةِ. لكنَّها تمدَّدَتْ إلى جانبه على الأرض، إلى أنْ أَثْقَلَ النُّعاسُ عيونَهمَا، فَناما.

في الصَّباح، لمْ تَكُنْ ثُرَيَّا تَنامُ في غرفته. كانَتْ أمُّه قد دَخَلَتْ بَعد أنْ غَفَوا الليلةَ الماضِية، لتَحْمِلَ ثُرَيَّا إِلى غُرفَتِها، ووجَدَتِ الوَرَقةَ التي أَخْفَاهَا سَعيدٌ. كانَتْ بِطاقةَ دَعوَةٍ مِن المَدْرَسةِ.

«إذا عُرِفَ السَّبَبُ، بَطُلَ العَجَبُ!» قالَتِ الأمُّ ومَدَّتِ البِطاقةَ إلى أَبي سَعيدٍ:

«بمناسبة يوم العمال، نَدْعوكُم للتَّحَدُّثِ إلى الطلَّابِ بشأن طبيعةِ أعمالِكم».

فَهِمَ الوالِدانِ سَببَ حُزنِ سَعيدٍ؛ فَهو مُحْرَجٌ مِن أَنْ يَعرِفَ الناسُ أنَّ والدَه لا يَذهَبُ إلى العَمَل.

صباح يوم العمَّال، تظاهر سعيدٌ بالمَرضِ.

قالَتْ أمُّه: «قُمْ يَا سَعيد، لَيسَ مِن عَادَتكَ الكَسَلُ. لنْ نستَطيعَ أن نترُكَكَ وَحدَك؛ فلَدَينَا مَوعِدٌ مُهمٌّ».

«موعِدٌ مُهمٌّ؟ لعلَّه خَيرٌ».

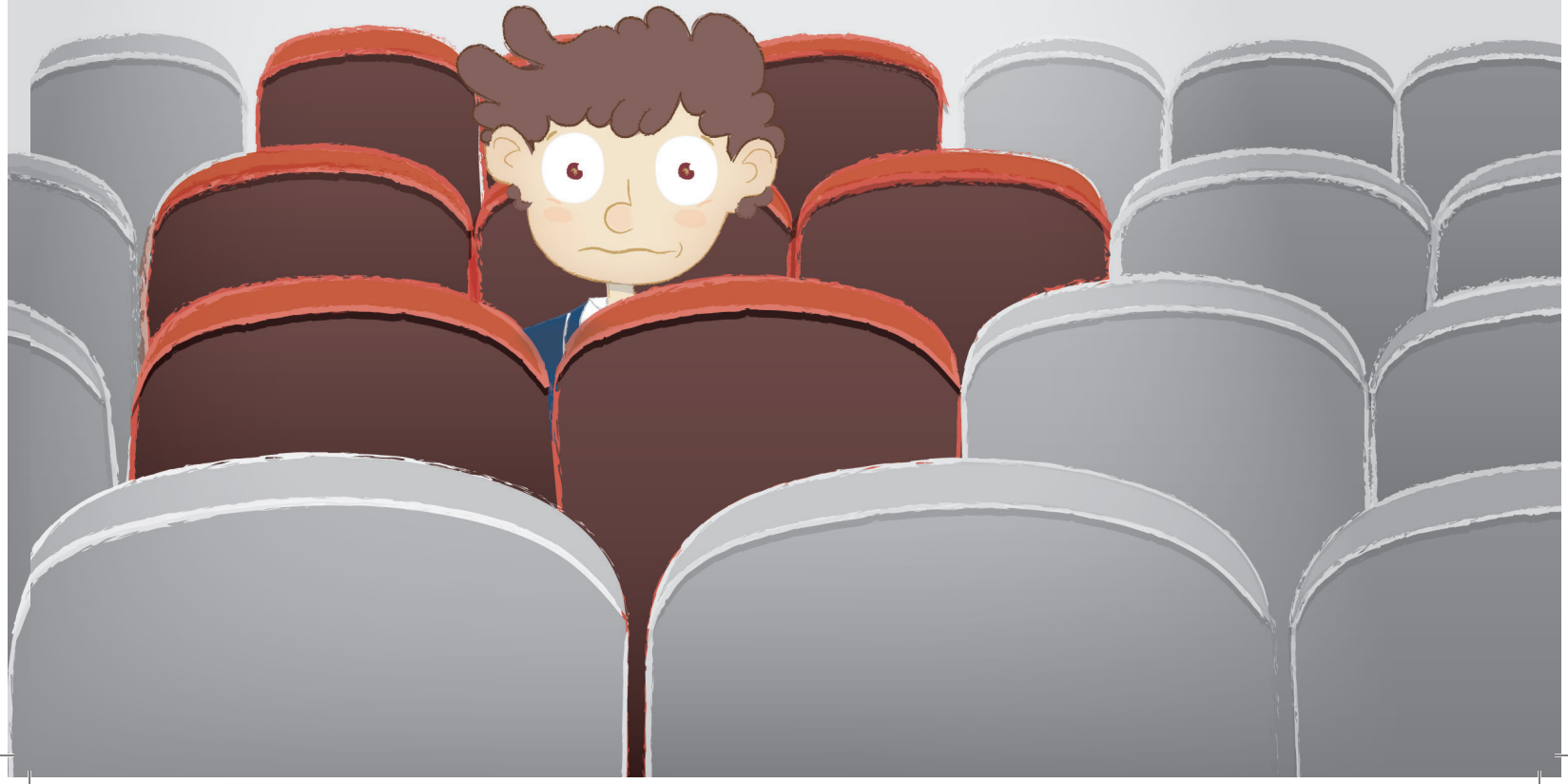

«لا شَيْءَ!»، قالَتْها وَضَحِكَتْ ثمَّ خَرَجوا جَميعًا.

في المَدْرَسةِ، جلسَ سعيدٌ مَعَ الطلَّابِ في المَسْرَحِ حيثُ يُقامُ الاحتفال، وَدَفَنَ رَأسَه مَا بَينَ الكَراسِيِّ. بَدأَ الحَفْلُ وصَعِدَ على المَسْرَح بَعضُ الآباءِ وَتَحدَّثوا بشأنِ أعْمالِهم.

عندما نادَتِ المُعَلِّمَةُ اسْمَ سَعيدٍ لَمْ يُجِبْ. وكرَّرتِ النِّدَاء دونَ إِجابةٍ. وَعِندَها سَادَ الهُدوءُ القَاعةَ...

سمعَ سَعيدٌ صَوتَ خُطوات، فرفعَ رأسَه بِتَرَدُّدٍ، وعندها رأى والِدَيه على المَسْرَح!

قالَتْ أمُّه: «نَحنُ والِدا سَعيدٍ. أُديرُ شَركةَ بَرْمَجَةٍ للأَلعابِ الإلكترونيَّة، ويَساعِدُني زَوجي عَلى تَسويقِها من المَنْزِل؛ فعمله يسمحُ له بالبَقاءِ مَعَ الأَطْفالِ. يُساعِدُني زَوجي وابْنِي عَلى تخيُّل مُغامَراتٍ نحَوِّلُها إِلى ألعابٍ، ويستَخدمُ زَوجي الهَاتِفَ المَحمُولَ لكَشْفَ أيَّةِ أخْطاءٍ فيها. أُحبُّ عائلتي».

صَفَّقَ الجَميعُ للعَائلةِ الجَميلةِ. وقفزَ سَعيدٌ إِلى حِضْنِ والِدَيه وَقالَ: «أعتَذِر». سألَه أبوه: «عَمَّ تَعتَذرُ يا سَعيد؟»، فرَدَّ سعيدٌ ضاحِكًا: «لا شَيْءَ... لا شَيْ».

لا شيء...لا شيء

الطبعة العربية الأولى ٢٠١٧م
حقوق الطبع محفوظة

تأليف: آية يونس رسومات: نزار أبو الحلاوة

مركز هيا الثقافي
هاتف: ٥٦٨٨٦٣٣ ٦ ٩٦٢+
فاكس: ٥٦٨٨٦٣٤ ٦ ٩٦٢+
ص.ب. ٩٤٠١٤٨، عمَّان ١١١٩٤، الأردن
Email: info@hcc.jo
www.hcc.jo

رقم الإيداع: ٢٠١٧/٩/٤٦٩٣

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه،
أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال،
دون إذن خطي مسبق من الناشر.